

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ

الْبَوَارِ﴾ [إبراهيم: 28]

❁ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

أعقب النظم الجليل تمثيل الإيمان والكفر بالشجرة الطيبة والخبيثة ببيان حال أصحابهما، فابتدأ بذكر حال الكافرين، فبعد "أن ضرب عز اسمهم الأمثال بياناً لحالي الفريقين، وذكر ما يلهمه من التوفيق في الدارين للسعداء، وما ينال الأشقياء من الخذلان والإضلال، جزاء ما كسبت أيديهم من تدسيثهم لأنفسهم باجتراحهم للشُرور والآثام، وبين أن كل ذلك يفعله على حسب ما يرى من الحكمة والمصلحة؛ ذكر هنا الأسباب التي أوصلتهم إلى سوء العاقبة معجّباً رسوله ممّا صنعوا من الأباطيل"⁽¹⁾. ومن المناسبة أن الآية هنا مسوقة كالبرهان والعلّة على الآية السابقة التي أخبرت أن كل الإيمان والضلال بأمر الله تعالى وحده، فلما أخبر سبحانه بذلك، وأنه الفاعل وحده؛ أتبعه بذكر الدليل عليه، وهو إضلال الذين بدّلوا الكلمة الطيبة من التوحيد بالإشراك وزلزلتهم واجتثاث كلمتهم، فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾⁽²⁾.

إِنَّمَا يُضِلُّ اللَّهُ
تَعَالَى مَنْ ظَلَمَ
نَفْسَهُ بِإِثَارِهِ
الْكُفْرَ عَلَى الشُّكْرِ

❁ شَرْحُ الْمُفْرَدَاتِ:

(1) ﴿بَدَّلُوا﴾: أصل (بدل): أصل واحد، وهو قيام الشيء مقام الشيء الذاهب، يُقال: هذا بدل الشيء وبديله، ويقولون: بدلت الشيء؛ إذا غيرته، وإن لم تأت له ببديل، قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَائِي نَفْسِي﴾ [يونس: 15]. وأبدلته؛ إذا أتيت له ببديل، وحقيقته: أن تُغيّر الصورة إلى صورة أخرى، والجوهرة

(1) اللاغي، تفسير الراعي: 13/152.

(2) البقاعي، نظم الدرر: 10/415.

بعينها، والإبدال: تحية الجوهرة، واستئناف جوهرة أخرى⁽¹⁾. والمقصود بالتبديل في الآية: وَضَعُ الشَّيْءِ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي يَسْتَحِقُّهُ شَيْءٌ آخَرُ.

(2) ﴿نِعْمَتُ اللَّهِ﴾: أصل (نعم) أصل واحد يدل على ترفه وطيب عيش وصلاح، منه النعمة: ما يُنعم الله تعالى على عبده به من مال وعيش⁽²⁾، مُشْتَقَّةٌ مِنَ النِّعَمِ، وهو راحة العيش وملائم الإنسان والترفيه، والنعمة أيضًا: الحالة الحسنة؛ لأنَّ بناءَ الفِعْلَةِ بالكسر للهَيَاتِ، ومتعلِّقُ النِّعْمَةِ الذاتُ الحسنيَّةُ، ثُمَّ اسْتَعْمِلَتْ فِي اللَّذَاتِ الْمَعْنَوِيَّةِ الْعَائِدَةِ بِالنَّفْعِ، وَلَوْلَمْ يَحْسَ بِهَا صَاحِبُهَا، وَبِنَاؤُهَا بِنَاءَ الْمَرَّةِ مِنَ الْفِعْلِ كَالضَّرْبَةِ وَالشَّتْمَةِ، وَالنِّعْمَةُ لِلْجِنْسِ تُقَالُ لِلْقَلِيلِ وَالكَثِيرِ، وَجَمْعُهَا: نِعَمٌ، وَتُجْمَعُ جَمْعَ سَلَامَةٍ عَلَى نِعَمَاتٍ⁽³⁾. والمراد بنعمة الله هنا: الْمَنْفَعَةُ الَّتِي يَقْصِدُ بِهَا فَاعِلُهَا الْإِحْسَانَ إِلَى غَيْرِهِ، وهي إرسال محمد ﷺ إليهم يدعوهم إلى إدراك الخيرات في الدنيا والآخرة.

(3) ﴿كُفْرًا﴾: أصل الكُفْر: السُّتْرُ والتَّغْطِيَةُ، يُقَالُ: كَفَرَ الشَّيْءُ، أَي: سَتَرَهُ، وَغَطَّاهُ، وَمِنْهُ سُمِّيَ الزَّارِعُ كَافِرًا؛ لِأَنَّهُ يُغْطِّي الْبَذَرَ بِالتُّرَابِ، وَمِنْهُ سُمِّيَ غَيْرُ الْمُؤْمِنِ كَافِرًا؛ لِأَنَّهُ غَطَّى الْحَقَّ وَالْإِيمَانَ⁽⁴⁾. والكُفْرُ: نَقِيضُ الْإِيمَانِ، يُقَالُ: كَفَرَ بِالشَّيْءِ، يَكْفُرُ، كُفْرًا وَكُفُورًا وَكُفْرَانًا: إِذَا أَشْرَكَ بِاللَّهِ، وَلَمْ يُؤْمِنْ بِهِ، وَيَأْتِي الْكُفْرُ بِمَعْنَى الْإِنْكَارِ وَالْجُحُودِ، فَيُقَالُ: كَفَرَ بِالنِّعْمَةِ، أَي: أَنْكَرَهَا، وَجَحَدَهَا⁽⁵⁾. والمراد بالكُفْرِ فِي الْآيَةِ: كُفْرَانُ النِّعْمَةِ، وَهُوَ ضِدُّ الشُّكْرِ، وَالْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ مِنْ كُفْرَانِ نِعْمَتِهِ⁽⁶⁾.

(4) ﴿دَارًا﴾: أصل الدَّور: الإحداق والإحاطة بالشَّيْءِ، والدَّارُ هِيَ الْمَنْزِلُ؛ وَسُمِّيَتْ دَارًا لِدَوْرَانِ أَهْلِهَا بِهَا، أَوْ لِدَوْرَانِهَا هِيَ عَلَى أَهْلِهَا وَإِحَاطَتِهَا بِهِمْ، وَتُطْلَقُ، وَيُرَادُ بِهَا الْبَلَدُ وَالضِّيْعُ وَالْدُنْيَا كُلُّهَا⁽⁷⁾.

(5) ﴿الْبَوَارِ﴾: أصل الكلمة يدل على هلاكِ الشَّيْءِ وما يشبهه من تعطله وخُلُوه، يُقَالُ:

(1) الأزهرى، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة: (بدل).

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نعم).

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/193، و29/270.

(4) الأزهرى، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللغة، وابن سيده، للحكم: (كفر).

(5) الجوهري، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب: (كفر).

(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 13/228.

(7) الجوهري، الصحاح، وابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات، والسمين الحلي، عمدة الحفاظ: (دور).

بَارَ الشَّيْءَ، يَبُورُ، بَوْرًا: إِذَا هَلَكَ، وَتَعَطَّلَ، وَدَارُ الْبَوَارِ، أَي: دَارِ الْهَلَاكِ، وَهَم بَوْرٌ، أَي: ضَالُّونَ هَلَكَى، وَيَأْتِي الْبَوَارُ بِمَعْنَى الْكَسَادِ، يُقَالُ: بَارَتِ السُّوقُ: إِذَا كَسَدَتْ، وَمِنْ هَذَا الْوَجْهِ: الْأَرْضُ الْبَوَارُ، أَي: الْخَرَابُ الَّتِي لَمْ تَزْرَعْ، وَالْبَائِرُ: الْفَاسِدُ الَّذِي لَا خَيْرَ فِيهِ، وَمِنْهُ سَوَقٌ بَائِرَةٌ، أَي: فَاسِدَةٌ⁽¹⁾. وَالْمُرَادُ بِ﴿الْبَوَارِ﴾ فِي الْآيَةِ: الْهَلَاكِ وَالْخُسْرَانِ.

❖ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَلَمْ تَنْظُرْ - يَا مُحَمَّدٌ ﷺ - إِلَى كَفَّارِ قُرَيْشٍ، الَّذِينَ غَيَّرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ بِبِعْثِكَ رَسُولًا إِلَيْهِمْ مِنَ اللَّهِ، فَكَفَرُوا بِاللَّهِ، وَكَذَّبُوا، فَلَمْ يُؤْمِنُوا بِرِسَالَتِكَ، وَلَمْ يَشْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْهَا، وَأَنْزَلُوا قَوْمَهُمْ - الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ - دَارَ الْهَلَاكِ؟

فَالْكَافِرُ يُقَابِلُ نِعَمَ اللَّهِ بِالْجُحُودِ وَالنُّكْرَانِ، وَالْأَصْلُ أَنَّ تَقَابُلَ بِالْإِقْرَارِ وَالشُّكْرِ، فَمَنْ بَدَّلَ الشُّكْرَ كُفْرًا كَمَنْ بَدَّلَ النُّعْمَةَ ذَاتَهَا، وَهَم بِذَلِكَ يَأْخُذُونَ بِيَدِ أَقْوَامِهِمْ إِلَى الْهَلَاكِ، فَهَذَا خُطَابٌ لِقَادَةِ الْكُفَّارِ يُقَبِّحُ أَعْمَالَهُمْ فِي إِضْلَالِ أَقْوَامِهِمْ، فَيُبْسِ الْهَدَاةَ هَمٌ.

❖ الْإِبْضَاحُ اللَّغَوِيُّ وَالتَّبْلَاغِيُّ:

دلالة الاستئناف في ﴿أَلَمْ تَرَ﴾:

الجملة في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ مستأنفة استئنافاً ابتدائياً، جيء بها تفسيراً لتمثيل الكافرين بالشجرة الخبيثة، وهذا الاستئناف قد "اقتضته مناسبة ما حكي عن أحوال أهل الضلالة وأحوال أهل الهداية ابتداء من قوله تعالى: ﴿وَبَرُّوْا لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [إبراهيم: 21] إلى قوله: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ [إبراهيم: 23]، فغضب الله مثلاً لكلمة الإيمان وكلمة الشرك، فقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ [إبراهيم: 24] إيقاظاً للذهن ليقرب ما يردُّ بعد

تحذير من
كُفْرَانِ النُّعْمَةِ،
وَصَرَفِهَا فِيمَا لَا
يَرْضَى اللَّهُ

الاستئناف لبيان
وجه التمثيل بين
خبث الشجرة
والكفر

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والأزهري، تهذيب اللغة، وابن سيده، الحكم، وابن الأثير، النهاية، وابن منظور، لسان العرب: (بور).

هذا الكلام، وذلك مثل قولهم: ألم تعلم؟ ولم يكن هذا المثل ممّا سبق ضربه قبل نزول الآية؛ بل الآية هي التي جاءت به، فالكلام تشويقٌ إلى علم هذا المثل⁽¹⁾. كما أنّ الاستئناف بهذه العبارة يبيّن وجه التشبيه بين الكفر وبين تلك الشجرة التي لا نفع فيها.

الغرض من الاستفهام ﴿أَلَمْ تَرَ﴾:

كُفِّرَ النِّعْمَةُ
مُثِيرٌ لِلْعَجَبِ فِي
مُتَنَاجِ الْعَارِفِينَ

عَبَّرَ النَّظْمُ الْجَلِيلُ بِالِاسْتِفْهَامِ الْمَجَازِيِّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾؛ لِتَقْرِيرِ الرُّؤْيَا ابْتِغَاءَ التَّعْجِيبِ مِنْ حَالِ الْكُفْرَةِ، حَيْثُ جَعَلُوا بَدَلَ شُكْرِ نِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمُ الْكُفْرَ بِهَا⁽²⁾، فَلَيْسَ الْاسْتِفْهَامُ حَقِيقِيًّا؛ بَلِ الْمُرَادُ دَعْوَةُ الْمُخَاطَبِ لِلتَّعْجُّبِ مِنْ شَأْنِ الْكُفْرَةِ، وَمِمَّا صَنَعُوا مِنَ الْأَبَاطِيلِ الَّتِي لَا تَصْدُرُ عَمَّنْ لَهُ أَدْنَى إِدْرَاكٍ⁽³⁾، "أَي: أَلَمْ تَعْلَمْ وَتَعْجَبْ مِنْ قَوْمٍ بَدَّلُوا شُكْرَ النِّعْمَةِ غَمَطًا لَهَا وَجُحُودًا بِهَا، كَأَهْلِ مَكَّةَ الَّذِينَ أَسْكَنَهُمُ اللَّهُ حَرَمًا آمِنًا تُجْبَى إِلَيْهِ ثِمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ، وَجَعَلَهُمْ قَوَّامٌ بَيْتِهِ، وَشَرَّفَهُمْ بِإِرْسَالِ رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ بَيْنِهِمْ، فَكَفَرُوا بِتِلْكَ النِّعْمَةِ"⁽⁴⁾، فَأَيُّ كُفْرٍ أَشْنَعُ مِنْ ذَلِكَ وَأَعْجَبُ؟

المراد بالخطاب في فعل الرؤية ودلالته:

سُوءُ فَعْلِهِمْ
وَاضِحٌ يَدْرِكُهُ كُلُّ
أَحَدٍ، وَيَدْعُو إِلَى
التَّعْجِيبِ

عَبَّرَ النَّظْمُ الْجَلِيلُ بِصِيغَةِ الْمُخَاطَبِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ﴾، وَالْمُرَادُ بِهِ - عَلَى مَا جَوَّزَهُ أَئِمَّةُ التَّفْسِيرِ - إِمَّا النَّبِيَّ ﷺ أَوْ كُلُّ مَنْ بَلَغَهُ الْخُطَابُ، وَالْغَرَضُ مِنْهُ التَّعْجِيبُ "مِمَّا صَنَعَ الْكُفْرَةَ مِنَ الْأَبَاطِيلِ الَّتِي لَا تَكَادُ تَصْدُرُ عَمَّنْ لَهُ أَدْنَى إِدْرَاكٍ، وَذَلِكَ بِتَكْذِيبِهِمْ مُحَمَّدًا ﷺ حِينَ بَعَثَهُ اللَّهُ مِنْهُمْ، وَأَنْعَمَ عَلَيْهِمْ بِهِ"⁽⁵⁾، وَيَدُلُّ الْخُطَابُ عَلَى أَنَّ مَا جَاؤُوا بِهِ مِنْ قَبَاحَةِ الْفِعْلِ يُدْرِكُهُ كُلُّ مَنْ لَهُ نَظَرٌ، فَسُوءُ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 13/223.

(2) الشوكاني، فتح القدير: 3/130.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/45.

(4) الراعي، تفسير الراعي: 13/153.

(5) القنوجي، فتح البيان: 7/114.

فعلهم واضحٌ بَيِّنٌ؛ إذ أعرضوا عن شكر نعمة المولى بأن خصَّهم برسولٍ منهم.

دلالة حرف الجرِّ في: ﴿إِلَى الَّذِينَ﴾:

آثر النظم الكريم تعدية فعل الرؤية بحرف الجرِّ الدالِّ على الغاية ﴿إِلَى﴾ في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ للدلالة على بُعدهم عن مقام النَّبِيِّ ﷺ⁽¹⁾، وكأنَّ المراد ليس رؤية ذواتهم؛ بل المراد منهاجهم وفعلهم القبيح، فحرف الجرِّ ﴿إِلَى﴾ يدلُّ على أنَّ إعراضهم عن الدَّعوة جعلهم في مكانٍ بعيدٍ بحيث يكون بينه وبين الرائي مَدَى يصحُّ أن يُستعمل فيه حرفُ الغاية.

غرض التعبير بالموصول ﴿الَّذِينَ﴾:

آثر النظم الكريم التعبير بالاسم الموصول في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ للإشارة إلى قوم معهودين مُرادين بأعيانهم وهم صناديدُ المشركين من قريش، فعبرَ بالموصول؛ لأنَّهم فريقٌ معروفون، وهم الذين استكبروا من أهل مكة، فعارضوا دعوة الإسلام، وكذبوا النَّبِيَّ ﷺ وشرَّدوا مَنْ استطاعوا مِنْ عباد الله المؤمنين، وهم الذين تسبَّبوا في إحلال قومهم دار البوار⁽²⁾.

غرض الاستعارة في الفعل ﴿بَدَّلُوا﴾:

استعار النظم البليغ لفظ التَّبدِيل لمعنى وضع الشيء مكان غيره في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾؛ لأنَّهم وضعوا مكانَ الشُّكر الذي وجب عليهم الكفر، كما في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: 82]، أي: تجعلون شكرَ رزقكم؛ حيث وضعوا مكانه التَّكذيب⁽³⁾، فاستُعير "التَّبدِيل لوضع الشيء

بين أهل الإيمان
وأهل الكفر مدى
بعيدٌ

التَّعجيب
حاصلٌ من
قوم معروفين
معهودين

من السَّفاهة
وضع الحسنِ
- وقد وجب -
موضع القبيح

(1) البقاعي، نظم الدرر: 10/415 - 416.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 13/229.

(3) الرمخشري، الكشف: 2/555.

في الموضع الذي يستحقه شيء آخر؛ لأنه يشبه تبديل الذات بالذات⁽¹⁾. وهي استعارة مكنية؛ فشبه الذين كفروا؛ إذ فضلوا الكفر على الإيمان بمن يعمد إلى شيء، ويرفعه من موضعه، ويضع شيئاً موضعه؛ لأنه يستحسن المبدل لوجه ما، فحذف المشبه به، وأبقى قرينة التبديل دالة عليه، وفائدة ذلك التعبير عن ضلال عقولهم؛ إذ "جعلوا بدل النعمة التي تستوجب الشكر كفراً، فالذين أعطوا نعمة بدل أن ينتفعوا بها في وضعها موضعها من الشكر عليها؛ كفروا بها، وكثيرون من ذوي النعم الذي أنعم الله عليهم بالثراء استعلوا به، فجعلوه كفراً"⁽²⁾.

نكتة الإضافة إلى لفظ الجلالة: ﴿نِعَمْتَ اللَّهُ﴾:

تَعْظُمُ النِّعَمُ
بِعِظَمِ النِّعَمِ
بِهَا

أضاف النظم البليغ لفظ النعمة إلى اسم الجلالة في قوله تعالى: ﴿بَدَلُوا نِعَمْتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ تعظيماً لشأن هذه النعمة، فهي من الله تعالى الذي له صفات الكمال والجلال، وهذه النعمة العظيمة هي "أن يؤأهم حرمة، وأمنهم في سفرهم وإقامتهم، وجعل أفتدة الناس تهوي إليهم، وسلمهم ممّا أصاب غيرهم من الحروب والغارات والعدوان، فكفروا بمن وهبهم هذه النعم، وعبدوا الحجارة، ثم أنعم الله عليهم بأن بعث فيهم أفضل أنبيائه - صلى الله عليهم جميعاً - وهداهم إلى الحق، وهياً لهم أسباب السيادة والنجاة في الدنيا والآخرة، فبدّلوا شكر ذلك بالكفر به، فنعمة الله الكبرى هي رسالة محمد ﷺ ودعوة إبراهيم وبنيه⁽³⁾".

الغرض من التذكير في ﴿كُفْرًا﴾:

آثر النظم الكريم التعبير عن الكفر بصيغة التذكير في قوله تعالى: ﴿بَدَلُوا نِعَمْتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾؛ للدلالة على تعظيم جنايتهم⁽⁴⁾.

كفر النعمة من
أعظم أنواع
الكفر

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 13/228.

(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 8/4025.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 13/228.

(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/45.

فبدّلوا شكرَ نعمة الله تعالى عليهم بكفرٍ عظيم، وتعظيم الكفر مناسب لذكر النعمة مضافة إلى الله تعالى إذ إنّها تستلزم الشُّكر، فلمّا لم تقابل بلازمها من الشُّكر؛ دلّ ذلك على أنّ الكفر بها هو كفر في غاية الغلو.

دلالة الواو في ﴿وَأَحْلُوا﴾:

الجملة في قوله تعالى: ﴿وَأَحْلُوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ معطوفة بواو العطف على الجملة الواقعة صلة للموصول في قوله جلّ شأنه: ﴿الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾⁽¹⁾؛ لأنّ المراد من التّعجيب من حال الكفّار كلا الفعلين التّبديل وما تسبّب عنه من إحلال القوم دار البوار، فدلّ العطف على أنّ التّبديل والإحلال كائنان من فعل سادة الكفّار كلاهما.

تبديل النعمة
والتسبب
بالإحلال في النار
من فعل سادة
الكفار

غرض المجاز العقلي في ﴿وَأَحْلُوا﴾:

أسند النّظم الجليل فعلَ الإحلال إلى الكافرين في قوله تعالى: ﴿وَأَحْلُوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾، والذي يدخل الظالمين إلى النار إنّما هو الله تعالى، فإسناد الفعل إلى الكافرين جاء على طريقة المجاز العقلي⁽²⁾؛ إذ إنّ سبب دخولهم النار إنّما هم سادتهم وكبرائهم من الكفّار، فإنّ "أصحاب النّعم التي يكفرونها هم الذين يفسدون أقوامهم، ويأخذونهم إلى حيث الفناء، وفناء الأمم والأقوام بشيوع الكفر والجحود فيها"⁽³⁾.

مُسبّب الفعل
فاعل له عقل

دلالة التعبير بالفعل الماضي:

آثر النّظم الكريم التعبير بالفعل الماضي في قوله تعالى: ﴿وَأَحْلُوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ مع أنّ حلول تلك الدار لما يقع بعد؛ وذلك للدلالة

حلولهم النار
مؤكّد مقطوع لا
شك فيه

(1) صافي، الجدول في إعراب القرآن: 7/188.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 13/228.

(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 8/4025، وينظر: القوّجي، فتح البيان: 7/114.

على تحقيق الإحلال وتأكيده حصوله؛ لأنَّ زمن الإحلال متأخَّر عن زمن الكفر⁽¹⁾، فإنَّ التَّعبير بالماضي عن المستقبل يقصد منه تأكيد حدوث مضمون الخطاب.

سرُّ إضافة القوم إلى الضَّمير ﴿قَوْمُهُمْ﴾:

أضاف النُّظم الجليل لفظ القوم إلى ضمير الذين بدلوا نعمة الله تعالى في قوله جَلَّ شأنه: ﴿وَأَحْلُوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾؛ لأنَّ القوم لما اتَّبَعُوهم في ملازمة الكفر حتَّى ماتوا على الكفر؛ صاروا مستحقِّين أن يكونوا تابعين لهم، وأن يضافوا إليهم⁽²⁾، كما أنَّ كلَّ قوم إنَّما يتَّبَعون سادتهم، ويلازمونهم في الحرب والسَّلم والإيمان والكفر، فكانوا مختصِّين بهم.

سرُّ الإضافة في ﴿دَارَ الْبَوَارِ﴾:

آثر النُّظم الكريم إضافة لفظ الدَّار إلى البوار في قوله تعالى: ﴿وَأَحْلُوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ للمبالغة في كون تلك الدَّار بالغة السَّوء، فهي حائرة على صفات الهلاك، فتكون دار الهلاك الذي لا هلاك وراءه⁽³⁾، فلمَّا كان البوار يدلُّ على الهلاك والخسران؛ دلَّت إضافته إلى الدَّار على محلِّه ومكانه⁽⁴⁾، وجعلُ الهلاك والخسران مختصًّا بمكان ما يدلُّ على عظم السَّوء في ذلك المكان، فالمراد من الإضافة بيان سوء ذلك الإحلال، وفداحة الخسران الذي سبَّبه الكبراء لقومهم.

دلالة تعريف المُضاف إليه ﴿دَارَ الْبَوَارِ﴾:

عرَّف النُّظم الجليل لفظ البوار بالألف واللام في قوله تعالى: ﴿وَأَحْلُوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ الدَّالَّة على الجنس، مبالغة في وصف الدَّار بالقبح؛ إذ إنَّها حازت البوار كلَّه الذي لا بوار وراءه⁽⁵⁾، فهي

ملازمة المتبوع
دليل انتماء
التابع

مجمع الخسران
والهلاك في دارٍ
ما مبالغة في
قبح الدَّار

أصل البوار
وجنسه كائن
مستقر في تلكم
الدَّار

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 13/229.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 13/228.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/45.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 13/229.

(5) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 5/45.

دارٌ قد جمعت الهلاك كله، فلا هلاك ولا خسران في غير هذا المكان، فانعدم وجود البوار في غير هذه الدار؛ فهي أصل البوار ومكانه وموئله.

❖ الفروق العَجَمِيَّة:

(بَدَلُوا) و(غَيَّرُوا):

التَّغْيِير من (غير) وهو يَدُلُّ عَلَى اخْتِلَافٍ شَيْئَيْنِ، قَوْلُنَا: هَذَا الشَّيْءُ غَيْرُ ذَاكَ، أَي: هُوَ سِوَاهُ وَخِلَافُهُ⁽¹⁾. أَمَّا التَّبْدِيلُ؛ فَمِنْ (بَدَل) وهو قِيَامُ الشَّيْءِ مَقَامَ الشَّيْءِ الذَّاهِبِ، يُقَالُ: هَذَا بَدَلُ الشَّيْءِ وَبَدِيلُهُ⁽²⁾. وَالْإِبْدَالُ وَالتَّبْدِيلُ وَالتَّحْدِيدُ وَالِاسْتِبْدَالُ: جَعَلَ شَيْءَ مَكَانَ آخَرَ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ [البقرة: 59]⁽³⁾، فَالتَّغْيِيرُ عَامٌّ يَدُلُّ عَلَى مَخَالَفَةٍ، أَمَّا التَّبْدِيلُ؛ فَيَدُلُّ عَلَى وَضْعِ شَيْءٍ مَكَانَ شَيْءٍ آخَرَ، وَفِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ آثَرُ النَّظْمِ الْكَرِيمِ التَّعْبِيرُ بِالتَّبْدِيلِ، فَقَالَ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾؛ لِأَنَّهُمْ وَضَعُوا الْكُفْرَ مَوْضِعَ الشُّكْرِ وَالْإِيمَانِ.

(أَحْلُوا) و(أَنْزَلُوا):

أَصْلُ الْحَلِّ: حُلُّ الْعُقْدَةِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ ﷺ: ﴿وَأَحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾ [طه: 27]، وَحَلَّيْتُ: نَزَلْتُ، أَصْلُهُ مِنْ حُلِّ الْأَحْمَالِ عِنْدَ النُّزُولِ، ثُمَّ جُرِّدَ اسْتِعْمَالُهُ لِلنُّزُولِ، فَقِيلَ: حَلَّ حُلُولًا، وَأَحْلَلَهُ غَيْرُهُ، قَالَ ﷺ: ﴿أَوْ تَحُلَّ قَرْيَبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ [الرعد: 31]، ﴿وَأَحْلُوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾⁽⁴⁾. أَمَّا النُّزُولُ فِي الْأَصْلِ؛ فَهُوَ انْحِطَاطٌ مِنْ عُلوٍّ، يُقَالُ: نَزَلَ عَنْ دَابَّتِهِ، وَنَزَلَ فِي مَكَانٍ كَذَا: حَطَّ رَحْلَهُ فِيهِ⁽⁵⁾، فَالنُّزُولُ فِي الْمَكَانِ يَدُلُّ عَلَى حَطِّ

التَّغْيِيرُ مطلق
الاختلاف،
والتَّبْدِيلُ وضع
شيء مكان شيء
آخر

النُّزُولُ حَطُّ
الرَّحْلِ، وَالْحَلُّ
فِيهِ فَتَحُّ ذَلِكَ
الرَّحْلِ، فَهُوَ أَدْلُّ
عَلَى الْمَكَاتِ

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (غير).

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بدل).

(3) الراغب، المفردات: (بدل).

(4) الراغب، المفردات: (حل).

(5) الراغب، المفردات: (نزل).

الرَّحْلُ فِيهِ، أَمَّا الْحُلُولُ؛ فَيَدُلُّ عَلَى أَكْثَرِ مِنْ ذَلِكَ، فَهُوَ نَزُولٌ يَتَّبِعُهُ حُلُّ الرَّحْلِ، فَهُوَ أَدْلُ عَلَى الْمَكْثِ فِي الْمَكَانِ وَاللُّبْثِ فِيهِ مِنْ مَجَرَّدِ النُّزُولِ، وَلِذَا اخْتِيرَ هَذَا اللَّفْظُ لِدَمِّ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ أَحَلَّوْا قَوْمَهُمْ تِلْكَ الدَّارَ، فَهُوَ أَدْلُ عَلَى الْإِلْتِصَاقِ وَالْبَقَاءِ فِي تِلْكَ الدَّارِ.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والعشرون، سورة إبراهيم من الآية 26 إلى سورة الجُر الآية 99
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1445هـ - 2024م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والعشرون، سورة إبراهيم من الآية 26 إلى سورة الجُر الآية 99
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-

الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 25، 812 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-768-22-7

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 25: المجلد الخامس والعشرون، سورة إبراهيم من الآية 26 إلى سورة الجُر الآية 99.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-

ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-768-22-7

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-3019282 بتاريخ 2024/02/23م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»